

## تَقْدِيمٌ

لا خيار للمدرسة اليوم سوى المسارعة إلى تجديد نفسها، بما يوافق متطلبات العصر الراهن دون التخلي عن غايات التربية ومبادئها؛ ففي ظل التحولات التي شهدتها السنوات الأخيرة غدت مراجعة التصورات حول العديد من القضايا مطلباً رئيساً. والتربية على رأس القضايا التي يتحتم علينا إعادة مراجعتها باستمرار؛ إذ تتطور وسائل التربية ومضامينها في لحظات تاريخية مفصلية، لتواكب تغيرات المجتمع فتحافظ على هويته وكيانه. وإن فهم صيرورة تطور التربية ومقاربة مختلف حيثياتها وتفاعلاتها ومآلاتها، ليسعف في تجديد المنظومة التربوية وتجويد مخرجاتها.

نقف في هذا الكتاب عند قضية تربوية تعليمية، لطالما كان لها نصيب مهم من النقاش الاجتماعي، هي قضية العلاقات البيداغوجية في وقتنا الراهن، لنعيد النظر ونقلبه في طبيعتها، ماهيتها وخصائصها المستجدة ومتطلبات أقطابها اليوم. وإذا كانت التحولات الحديثة قد ألزمت المدرسين والمتعلمين بضرورة تجديد الممارسة الديدأكتيكية والفعل البيداغوجي بشكل عام، لما له من تأثير مطّرد في استراتيجيات التعلم وأساليب التربية، وبروز إشكالات تتعلق بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية، فإن ذلك يستدعي -بالضرورة- التحول عن النموذج المتبع منذ أمد بعيد، واستشراف آفاق بيداغوجية توافق تطلعات الجيل الحالي وتسهم في تحقيق ثوابت المدرسة محضن التربية والتعليم.

وللعلاقات البيداغوجية أثر مباشر في جودة التحصيل الدراسي وفعالية الاكتساب ودرجة التحكم في التعلّمات، ولها وظيفة رئيسة في تحديد طبيعة الاتجاهات والقيم والكفايات ونموذج المتعلم المرغوب فيه، وفي بيان القيمة الاعتبارية والمعالم الوظيفية والرسالية للمدرس، وكذا تعيين المعرفة المقصودة بالاكتساب، وتوفير بيئة التعلم للخروج بالمنظومة التربوية برمتها من قيود التقليد وعوائد الاستهلاك، إلى فضاء الإنتاج البناء والإبداع الخلاق لدى المدرسين والمتعلمين على السواء.

من أجل ذلك، قاربت الأبحاث المشاركة في أعمال هذا التأليف الجماعي المحكم موضوع العلاقات البيداغوجية من خلال انسجام محاوره وتكاملها؛ تأسيسا تاريخيا لهذه العلاقات ووقفا عند أهم محطاتها عبر الأحقاب المتوالية، وتعيينا للمبادئ الثابتة فيها ومتطلبات التجديد واستلهاج التجارب الدولية المتقدمة في مستجدات التعلم اليوم. ثم تشخيصا ورسدا للخصائص المستجدة واستشرافا لمعالم مدرسة الغد.

وقد قاربت مجموعة من المقالات الصلة القائمة بين العلاقات التربوية وما تمخض عنه العصر الرقمي من تكنولوجيات متعددة، سعت المنظومات التربوية إلى إدماجها في سبيل تجويد التحصيل الدراسي والارتقاء بالعملية التعليمية التعلمية، من التقليد إلى أجواء تفاعلية لا تحصرها جدران الفصول الدراسية ولا المقررات والكتب.

بيد أن إدماج التكنولوجيا الرقمية لن يكون ذا جدوى، ما لم تتحدد ضوابط استعمال الموارد الرقمية لدى المدرسين والمتعلمين، ويتم التوافق على المعايير اللازم توافرها حتى تتحقق الغايات البيداغوجية المرجوة. وحتى إن سلمنا بحصول هذا التوافق، فهل بإمكان منظومتنا التربوية المغربية الاستعاضة بهذه التكنولوجيات الرقمية والمنصات الافتراضية عن الممارسة الديداكتيكية في الفصل الدراسي؟ وما الشروط الواجبة لاعتماد استراتيجية «التعليم عن بعد» التي فرضتها الضرورة الصحية؟ وما المعوقات والمحاذير المتوقعة لهذه الاستراتيجية وتأثيرها في العلاقات البيداغوجية؟

كما أثارت بعض المقالات الواردة في هذا الكتاب مسألة التأثير المتبادل بين عناصر المنظومة التربوية والعلاقات البيداغوجية، تبياننا لمدى حضور هذه العلاقات في تدابير الرؤية الاستراتيجية للإصلاح، ورسدا لأهم التغيرات الطارئة في وظائف المدرس وقيمه الاعتبارية داخل المجتمع وتأثير ذلك في شكل العلاقة مع باقي الأطراف الفاعلين في المنظومة. ثم انفتاحا على الآفاق الاستشرافية ومعالم الأطر المرجعية المنشودة في بناء منظومتنا التربوية التعليمية.

وهذا الكتاب هو ثمرة لأعمال الندوة التربوية الوطنية التي نظمها مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد) يوم 24 يوليوز 2020م، والتي شارك فيها ثلة من الباحثين والمختصين في المجال التربوي والتعليمي والبيداغوجي في المغرب، وقد خضعت جميع الأبحاث للتحكيم من طرف لجنة علمية خبيرة بالموضوع.

د. أحمد الفراك

أستاذ الفلسفة

بجامعة عبد المالك السعدي

د. عادل ضباغ

باحث في علوم التربية

والديداكتيك

الجمعة 25 شتنبر 2020م